الاختيار عند ابن مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ) وابن الجزري (ت٨٣٣هـ)
-دراسة موازنة-

الدكتور عبد الحكيم خليل السامرائي
كلية الإمام الأعظم الجامعة- قسم القراءات القرآنية

المستخلص

كثُرَت القراءات في القرن الثالث الهجري، فقام ابن مجاهد البغدادي باختيار القرّاء السبعة، ولولا فعله هذا لعمّت الفوضى في القراءات بسبب كثرتها واختلاطها. ثم تابعه ابن الجزري في اختيار الثلاثة المتمّمين للعشرة، ولولا اختياره هذا لذهبت قراءات متواترة بسبب شهرتها وصحة سندها، وقد أجمعت الأمة الاسلامية عليها، بعد أن كان التصور السائد أنَّ ما بعد السبعة شاذ لا يُقرأ به، وقام بذلك الجهد الكبير الامام ابن الجزري للمكانة العلمية التي بلغها.

Abstract

Readings have spread in the third Hijri century. Therefore, Ibn Mujahed Al-Baghdadi started to choose the seventh readers. Without him, chaos readings would have prevailed due to their mutitude and mixture. Then Ibn Al-Jazri followed him in choosing the three complimentary readings. Without his selection, many frequent, famous and reliable readings, of which the Islamic Nation has authenticated, would have been lost after the prevailing believe was that the readings after the seventh is weared and cannot be read with. This effort was carried out by the Imam Ibn Al-Jazri who has the high scientific status.

المقدمة

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المؤمنين بنور كتابه المبين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

أمّا بعد:

فلا يخفى على كلّ لبيب أن الله جلَّ في علاه قد هيأ لهذا الكتاب على تطاول الأزمان رجالًا تحمّلوا أعباء الدين، فأفنوا في سبيل ذلك حياتهم وبذلوا أعزّ أوقاتهم..

من أجل ذلك وجب علينا إبراز دورهم وجهودهم الكبيرة؛ ومن بين هؤلاء ابن مجاهد البغدادي (ت:324هـ) الذي اختار القرّاء السبعة، وابن الجزري (ت: 833هـ) الذي أتمّ ما بدأ به ابن مجاهد فاختار القرّاء الثلاثة المتممين للعشرة. ويعدّ هذان الإمامان من أقطاب القراءة، مما جعل العلماء يصفون الأول بشيخ الصنعة ومسبّع السبعة والثاني بمحرر الفن. فانقدحت في ذهني فكرة تقديم عنوان بحثي الموسوم (الإختيار عند مجاهد البغدادي وابن الجزري- دراسة موازنة).

ومن الجدير بالذكر أني لم أترجم لبعض الأعلام وللقرّاء العشرة أينما جاء ذكرهم لأنهم معروفون، والمعرَّف لا يُعرّف، وحتى لا أثقل هوامش البحث.

وقد قسّمت بحثي هذا الى أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: التعريفات والتراجم.

المبحث الثاني: إبن مجاهد والقراءات القرآنية.

المبحث الثالث: إبن الجزري والقراءات القرآنية.

المبحث الرابع: الإختيار عند ابن مجاهد البغدادي وابن الجزري.

ثم خاتمةٌ ذكرت فيها أهم النتائج التي توصَّلت إليها، موشحاً البحث بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول
التعريفات والتراجم

يتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب هي:

الأول: الاختيار لغة واصطلاحاً، والثاني: ترجمة الإمام المقرئ ابن مجاهد البغدادي، والثالث: ترجمة الإمام المقرئ ابن الجزري. وسأتناول هذه المطالب الثلاثة بالتفصيل.

المطلب الأول: الاختيار لغةً واصطلاحًا

الاختيار (لغةً): معناه: الإصطفاء والإنتقاء، ويقال: إستخرِ الله يَخِرْ لك، والله يَخيرُ للعبد اذا استخاره[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص/ 68] وقوله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الاحزاب/ 36]، وكذلك التَخيُّر، يقال: خَيّرته بين الشيئين، أي: فوضت اليه الخيار، والخيار: الإسم من الإختيار[2]، ويُراد به المفاضلة بين شيئين فأكثر، والميل

(1) ينظر: الصحاح للجوهري، مادة (خير): 2 / 652، ولسان العرب لابن منظور، (مادة خير): 5 / 186 – 187.

(2) ينظر: الصحاح: مادة (خير): 652/ 2.

الى أحداها أو بعضها[1]، ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم): ((ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا..))[2].

أما الاختيار اصطلاحًا فقد عرَّفه العلماء بتعاريف عديدة منها:

أولًا: هو ((ملازمة إمام معتبر وجهًا أو أثر من القراءات فيُنسب اليه على وجه الشهرة والمداومة، لا على وجه الإختراع والرأي والإجتهاد. ويسمى ذلك الإختيار (حرفًا) و(قراءةً) و(اختيارًا) كلّه بمعنى واحد؛ فيقال اختيار نافع وقراءة نافع، وحرف نافع))[3].

ثانيًا: ((ما يميل إليه المقرئ من بين مروياته وينتقيه على أساس مقاييس معينة))[4].

ثالثًا: ((هو الحرف الذي يختاره من بين مروياته مجتهدًا في اختياره))[5].

وعند التأمُّل في التعريفات أعلاه، يتبيَّن لنا أن الإختيار في عُرف القرّاء على نوعين هما:

الأول: إختيار القارئ، كما اختار ابن مجاهد البغدادي[6] القرّاء السبعة وابن الجزري(7) القرّاء الثلاثة أبو جعفر المدني (ت:130هـ) ويعقوب الحضرمي (ت:205هـ) وخلف البزّار المعروف بخلف العاشر (ت:299هـ). وفي الحقيقة هو اختيار للقراءة، لأنّ اختيار القارئ يعني اختيار لقراءته.

الثاني: اختيار الرواية، وذلك بالنظر الى صنيع أصحابها الذين اختاروها من بين رواتهم؛ كرواية قالون عن نافع، وورش عن نافع وغيرهم.

والتعريفات السابقة تؤكِّد لنا أنَّ معنى الإختيار لم يكن باجتهاد القرّاء في وضع القراءات –كما توهَّم البعض– وإما في اختيار القراءة، وثمَّة فرق كبير بين اختيار القراءة أو الرواية والإجتهاد في وضع القراءة، لا الإجتهاد في اختيار القراءة، لأن القراءة سُنَّة متَّبعة[8].

والى ذلك يشير ابن الجزري –رحمه الله– بقوله عن نسبة القارئ لقراءته بأنها: ((اضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد))[9]. وقد سمّى سبط الخياط[10] كتابه في القراءات العشر (الإختيار في

(1) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (خير): 2/ 232، وتاج العروس للزبيدي:11 / 130 – 131.

(2) الحديث: (رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، 4 / 189 رقم الحديث:3560.

(3) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، ابراهيم بن سعد الدوسري: 1/ 15.

(4) مصطلحات علم القراءات القرآنية، عبد العلي المسؤول:1/ 45.

(5) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي/ 105.

(6) ستأتي ترجمته لاحقًا.

(7) ستأتي ترجمته لاحقًا.

(8) ينظر: النشر:1 / 47، والقراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 106.

(9) النشر: 1/ 52.

(10) هو عبد الله بن علي بن أحمد سبط أبي منصور الخياط الأستاذ البارع الصالح الثقة شيخ الإقراء ببغداد في عصره ، صاحب كتاب المبهج والتبصرة والإختيار وغيرها، توفي ببغداد سنة (541هـ).
ينظر: غاية النهاية، 1 / 388 – 389.

القراءات العشر) ذكر فيه مروياته المختارة عن القرّاء العشر ورواتهم وطرقهم، وقد بلغت الروايات والطرق عنده في كتابه هذا عن القرّاء العشرة ثمانيةً وسبعين[1].

وعند التأمُّل للتعريفين اللغوي والإصطلاحي يكون معنى الإختيار -اصطلاحًا- قد استوى على معنى الإختيار -لغةً- فهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا به. وبناءً على ما تقدَّم، يمكن لي أن أنتهي الى تعريف الإختيار اصطلاحًا ناقلاً فأقول هو: ((القراءة الموصولة السند الى الرسول - صلى الله عليه وسلم- التي يختارها القارئ من بين القراءات التي أخذها عن شيوخه من أول القرآن الى آخره ويقتصر عليها قراءةً وإقراءً))[2].

وهذا يعني أن القارئ يختار الرواية التي أخذها عن شيوخه كاملةً من أول القرآن الى آخره، لا أن ينتقي حرفًا من هذه وحرفًا من تلك ويؤلف القراءة، لأن هذا سينتهي الى ما يسمّى بالتلفيق.

بيد أن بعضًا من العلماء والدارسين[3] ذكروا معنىً آخر للاختيار مفاده: أن القارئ يختار من بين مروياته التي أخذها عن شيوخه حرفًا من هذه الرواية، وآخرًا من تلك ويؤلف القراءة التي نُسبت اليه لاحقًا ؛كقراءة نافع وابن كثير وغيرهم من القراء السبعة أو العشرة.

وهذه الوجوه من الروايات التي أخذها عن شيوخه فضّلها لسبب يذكره أو لا يذكره وداوم عليها ولزمها حتى اشتهر وعرف بها وقُصِد فيها وأُخذت عنه.

والحقيقة أن هذا الطرح خطير في فحواه، لأنه سيلغي ركنًا عظيمًا من أركان القراءة المتواترة، ألآ وهو السند الذي مدار فن القراءات عليه.

والذي يهمُّنا في هذا البحث -الذي نسلِّط الضوء عليه- النوع الأول أي: (اختيار القارئ)، كما فعل ابن مجاهد عندما اختار السبعة، وابن الجزري عندما اختار الثلاثة المتمِّمين للعشرة.

المطلب الثاني: ترجمة الإمام المقرئ ابن مجاهد البغدادي -رحمه الله-

هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي الإمام المقرئ المحدّث النحوي، شيخ الصنعة ومسبّع السبعة المعروف بابن مجاهد، شيخ العصر أبو بكر العطشي الأستاذ مصنِّف كتاب السبعة في القراءات.

ولد عام (245هـ) بسوق العطش ببغداد[4]، قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس[5] وقنبل المكي

(1) ينظر: الإختيار في القراءات العشر لسبط الخياط: 1 / 165.

(2) أبحاث في علم القراءات القرآنية، خليل ابراهيم السامرائي/ 51.

(3) ومن هؤلاء الباحثين: عبد الفتاح شلبي في كتابه (رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات) ص82 - 84، وعبد الصبور شاهين في كتابه (القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص98، والدكتور غانم قدوري الحمد في كتبه (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية)، ص624 - 630، و(محاضرات في علوم القرآن)، ص135 - 140، و(تكوّن العربية الفصحى)، ص38 - 41.

(4) ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين الذهبي، 1 / 270، وغاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، 1/ 128.

(5) هو عبد الرحمن بن عبدوس البغدادي، قرأ ابن مجاهد عليه

راوي ابن كثير المكي (ت:291هـ)، وسمع القراءات من طائفة كبيرة من العلماء، وتصدَّر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء، ورُحِلَ اليه من الأقطار وبَعُدَ صيته، وفاق نظراءه مع الدين والحفظ والخير. قال ابن الجزري عنه: لا أعلم أحدًا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذًا منه، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه.كان ثقةً حجّةً تصدّر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائي الصغير[1].

قرأ عليه خلق كثير، ومن أشهرهم الشذائي البصري[2]، والمطَّوعي البصري[3]، والسامري البغدادي[4] وغيرهم[5].

المطلب الثالث: ترجمة الإمام المقرئ ابن الجزري -رحمه الله-

هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري البغدادي الدمشقي الشيرازي الشافعي. والجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر ببلاد ديار بكر بالقرب من الموصل(6). ولد -رحمه الله – بدمشق الشام في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة (751هـ) ونشأ فيها ، ثم أتمّ حفظ القرآن الكريم في الرابعة عشرة من عمره، ثم أخذ علم القراءات إفرادًا ثم جمعًا.

رحل كثيرًا في طلب العلم؛ فرحل الى مصر والحجاز ثم البصرة. قرأ الحديث والفقه والأصول والمعاني والبيان على كثير من شيوخ مصر، وأجازه بالإفتاء الإمام أبو الفداء اسماعيل بن كثير المفسّر(7). تتلمذ على شيوخ كثيرين، وليس من السهل أن يستقصي المرء الشيوخ الذين أخذ عنهم، منهم: محمد بن صالح

عشرين ختمة بقراءة نافع المدني، توفي سنة بضع وثمانين ومئتين.
ينظر: معرفة القراء الكبار: 1 / 238، وغاية النهاية: 1 / 337 – 338.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى الكسائي الصغير البغدادي المقرئ، توفي سنة (288هـ).
ينظر: معرفة القراء الكبار:1 / 270، وغاية النهاية، 2 / 244و 1 / 128.

(2) هو أحمد بن نصر الشذائي البصري، من كبار القراء الكبار، قرأ على ابن مجاهد وابن شنبوذ، توفي سنة (370هـ).
ينظر: تاريخ الاسلام للذهبي: 8 / 385، وغاية النهاية: 1 / 131 – 132.

(3) هو أبو العباس الحسن بن سعيد المطوعي البصري، أحد راويي الأعمش، قرأ على ابن مجاهد وابن شنبوذ، توفي سنة (371هـ) وقد جاوز المئة من عمره.
ينظر: معرفة القراء الكبار: 1 / 317 – 319، غاية النهاية: 1/ 195.

(4) هو أبو أحمد عبد الله بن الحسين السامري البغدادي، نزيل مصر مقرئ ولغوي، قرأ على ابن مجاهد وابن شنبوذ، توفي سنة (386هـ).
ينظر: غاية النهاية: 372/ 1.

(5) ينظر: غاية النهاية: 129–128/ 1.

(6) ينظر: غاية النهاية: 217/ 2، والضوء اللامع بمحاسن أهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، 255/ 9، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني: 257/ 2.

(7) ينظر: غاية النهاية: 218/ 2.

بن اسماعيل[1]، والشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن السلار[2]، وابن اللبان[3] وغيرهم[4]. أما تلامذته فمن أشهرهم ابنه أبو بكر[5]، ومحمد بن أحمد المصري[6]، وغيرهم[7]. جلس للإقراء والتعليم تحت قبَّة النسر بالجامع الأموي سنين[8].

كان ابن الجزري من أفذاذ العلماء في عصره، أثنى عليه معاصروه ومن بعدهم الثناء الجم، ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر: ((لهج بطلب الحديث والقراءات، وبرز في القراءات، وعمّر مدرسة للقرّاء سمّاها دار القرآن، وأقرأ الناس، وعُيّن لقضاء الشام مرة))[9]. انتهت اليه رئاسة علم القراءات في الممالك، وكان يلقَّب في بلاده بالإمام الأعظم[10].

قال عنه الإمام شمس الدين السخاوي (ت:902هـ): ((أذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإقراء بالعادلية، ثم مشيخة دار الحديث الأشرفية، ثم مشيخة تربة أم الصالح بعد شيخه ابن السلار))[11].

قال عنه تلميذه الإمام النويري (ت:857هـ): ((واعتنى بعلوم القراءات والحديث فأتقنها ومهر فيها وفاق غالب أهل زمانه، وتفقَّه على الشيخ عماد الدين بن كثير، وهو أول من أذن له في الفنون والتدريس))[12].

له الكثير من المؤلفات التي تشهد له بالعلم والفضل في سائر العلوم منها: النشر في القراءات العشر، وهو من أعظم كتبه، والدرّة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية، ومنجد المقرئين، والمقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، وتحبير التيسير في القراءات العشر، ونهايات الدرايات في أسماء رجال القراءات (الطبقات الكبرى)، وغاية النهاية في طبقات القراء (الطبقات الصغرى) وغيرها[13].

(1) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن اسماعيل المقرئ شيخ المدينة المنورة، ثقة صالح توفي سنة (785هـ).
ينظر: غاية النهاية: 1/ 137.

(2) هو أبو محمد عبد الوهاب بن السلار، مقرئ محقق صالح، انتهت اليه رئاسة المشيخة بالشام، توفي سنة (782هـ).
ينظر: غاية النهاية، 1/ 429 – 430.

(3) هو أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان، استاذ محرر ضابط، ولي مشيخة الإقراء بالجامع الأموي، توفي سنة (776هـ).
ينظر غاية النهاية: 2 / 217.

(4) ينظر: غاية النهاية، 2/ 217.

(5) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري الشافعي مقرئ دمشق، أخذ القراءة عن أبيه وغيره وتصدر للتدريس، مات بعد أبيه بقليل (ت:835هـ)، من أشهر مؤلفاته (الحواشي المفهمة في شرح المقدمة)، ويعرف بابن الناظم.
ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: 2 / 193 والأعلام للزركلي: 1 / 227.

(6) هو محمد بن أحمد بن عماد المصري المقدسي، حفظ القرآن وهو صغير جدًا، كان آية من آيات الله في سرعة الحفظ، اشتغل بالفقه والعربية والقراءات والحديث، ومهر في الجميع، توفي سنة (798هـ).
ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني: 1 / 519، والأعلام للزركلي: 5/ 329.

(7) ينظر: غاية النهاية، 2/ 217.

(8) ينظر: المصدر نفسه، 2/ 218.

(9) انباء الغمر: 8/ 245؛ والامام ابن الجزري محدثًا، لمشهور بن مرزوق الحراني/ 15.

(10) ينظر: انباء الغمر: 8/ 8/ 247.

(11) الضوء اللامع: 9/ 256.

(12) شرح طيبة النشر للنويري: 1/ 33.

(13) ينظر: مقدمة النشر: 1 / 6، والضوء اللامع: 9 / 257، والبدر الطالع: 2 / 258.

المبحث الثاني
ابن مجاهد والقراءات القرآنية

سيكون هذا المبحث منصبًا على مطلبين؛ الأول: حال القرّاء والقراءات في عصر ابن مجاهد البغدادي، والثاني: المقياس الإقرائي عند ابن مجاهد البغدادي.

المطلب الأول: حال القرّاء والقراءات في عصر ابن مجاهد البغدادي.

يوقفنا ابن مجاهد البغدادي عن حال القراء في عصره إذ يقول: ((اختلف الناس في القراءة كما اختلفوا في الأحكام، ورويت الآثار بالإختلاف عن الصحابة والتابعين توسعةً ورحمة للمسلمين وبعض ذلك قريب من بعض، وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنَقَلَة الحروف منازل في نقل حروفه.. فمن حَمَلَة القرآن المعرِبُ العالمُ بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلمات البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزعُ اليه حفّاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين، ومنهم من يُعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالإعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه. ومنهم من يؤدّي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلاّ الأداء لما تعلّم لا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ؛ فلا يلبث مثله أن ينسى اذا طال عهده فيضيّع الإعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمِّه وكسره في الآية الواحدة، لأنه لايعتمد على علم العربية، ولا بصر بالمعاني يرجع إليه وإنّما اعتماده على حفظه وسماعه. وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه الحروف، فيقرأ بلحن لا يعرفه وتدعوه الشبهة الى أن يرويه عن غيره ويبرئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مصدّقًا فيُحمل ذلك عنه، وقد نسيه ووهم وجَسَرَ على لزومه والإصرار عليه، أو يكون قد قرأ على من نسي وضيّع الإعراب ودخلته الشبهة فتوهَّم، فذلك لا يقلّد القراءة ولا يُحتجُّ بنقله. ومنهم من يُعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار، فربما وعاه بصره بالإعراب الى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعًا))[1].

ولقد حرصت على نقل النص وإن كان طويلًا لبيان حال القرّاء في عصره، فهم على أصناف أربعة:

الأول: القارئ العالم بوجوه الإعراب العارف باللغات ومعاني الكلمات البصير بعلم القراءات، فذلك القارئ الإمام الذي يفزع اليه.

الثاني: القارئ الذي لا يلحن ولا علم له بالقراءة فهو كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه.

الثالث: القارئ المؤدِّي لما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلاّ الأداء لما تعلَّم، وقد يكون ثقة فيُحمل ذلك عنه.

الرابع: من يقرأ ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات والآثار؛ فربما دعاه بصره بالإعراب الى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من

(1) السبعة في القراءات/ 45 – 46.

الماضين فيكون بذلك مبتدعًا.

أما عن حال القراءات والقرّاء فقد كان الأئمة يتكاثرون بحيث أخذت الطرق اليهم تتعدد تعددًا واسعًا حتى نرى ((أبا عبيد القاسم بن سلام[1] يصنِّف كتابًا يجمع فيه قراءات خمسة وعشرين إمامًا سوى السبعة المشهورين..ويؤلِّف أبو عبيد القاضي إسماعيل بن اسحاق[2] كتابًا يجمع فيه قراءات عشرين إمامًا، ويصنِّف ابن جرير الطبري المفسّر (ت:310هـ) كتابًا يجمع فيه قراءات نيف وعشرين إمامًا))[3].

يقول مكي بن أبي طالب المكي القيسي[4]: ((إن الرواة عن الأئمة من القرّاء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرًا في العدد، كثيرًا في الإختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع – عصر ابن مجاهد– أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به؛ فنظروا الى إمامٍ مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ. فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب اليهم. فأفردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان رضي الله عنه مصحفًا إمامًا هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر))[5].

كلُّ ذلك جعل من الضروري أن يتجرَّد عالم من علماء القراءات أو طائفة من جهابذتها ليقابلوا بين القراءات الكثيرة التي شاعت في العالم الإسلامي، ويستخلصوا منها للناس قراءات يحملونهم عليها حتى لا يتفاقم الأمر، ويلتبس الحق بالباطل، وتصبح قراءة القرآن فوضى بدون تمييز بين المتواتر منها وغير المتواتر. ولم يلبث ابن مجاهد البغدادي أن نهض بهذا العبء الكبير الذي تنوء به جماعات العلماء من القرّاء الأفذاذ، فاختار بعد البحث والفحص الطويل سبعةً من أئمة القراءات حمل عليهم المسلمين في جميع أقطارهم وأمصارهم، وبذلك لمَّ الشعث وأدرك الأمَّة قبل أن يتَّسع بينها الخلاف في قراءات كتابها السماوي العظيم[6].

وقد انحصرت وجوه القراءات بعد هذا فيما تواتر موافقًا للرسم العثماني واللغة العربية. بيد أنه ظهرت قراءات لم يتوافر لها السند واكتفى أصحابها بموافقة الرسم العثماني واللغة؛ فصاروا يقرأون بما لا تحلّ تلاوته مثل ابن مقسم العطار[7]، وآخرون كانوا يقرأون

(1) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الامام الكبير، صاحب التصانيف في القراءات والحديث توفي سنة (224هـ).
ينظر: غاية النهاية: 2 / 18.

(2) هو اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد القاضي الأزدي البغدادي، ثقة مشهور، توفي ببغداد سنة (282هـ).
ينظر: غاية النهاية: 1/ 147.

(3) السبعة/ 14.

(4) هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، إمام علاّمة محقق أستاذ القراء والمجوّدين، ولد سنة (355هـ) بالقيروان، قرأ القراءات على ابن غلبون وغيره، جلس للاقراء في جامع قرطبة، له مؤلفات كثيرى، توفي سنة (437هـ).
ينظر: غاية النهاية: 2 / 270.

(5) الإبانة عن معاني القراءات./ 86.

(6) ينظر: مقدمة السبعة في القراءات/ 15.

(7) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم البغدادي العطار، سمع من موسى الجلاجلي وأبا مسلم الكجي، وعنه ابن

بروايات خالفت الرسم العثماني أمثال ابن شنبوذ[1] وقد عقد لهما مجلسين فاستُتيبا وتراجعا عمّا هما فيه[2].

وبهذا يكون ابن مجاهد قد استطاع أن يستخلص للأمة سبع قراءات متواترة من بين كثير من الآثار والروايات والقراءات، وكأنما اختارته العناية الإلهية ليحمل أعباء هذه المهمة الخطيرة[3]!.

وقد ظلّت الأمة الاسلامية بما يقرب من خمسة قرون تقرأ باختيار ابن مجاهد البغدادي للقرّاء السبعة المعروفين أي: إلى عصر ابن الجزري رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: المقياس الإقرائي عند ابن مجاهد البغدادي

لما كثرت القراءات وتعدّدت الروايات والطرق، حرص العلماء على التثبُّت من صحة القراءات وتمييز الصحيحة من غيرها. فكان من أبرز اهتمامهم بالقراءات أن أحاطوها بسورٍ منيع بَنَوه على التحرّي والتدقيق؛ فتتبَّعوا وجوه القراءات، وتحرّوا عن صحة سندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي عُرف فيما بعد بالمقياس الإقرائي[4]. وقد مرّت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته، ومن هذه المقاييس مقياس ابن مجاهد في اختياره للقرّاء والقراءة.

أولًا: مقياس ابن مجاهد في اختياره للقرّاء:

لقد استنبط العلماء أركان هذا المقياس وبنوده وكما يأتي:

1 – أن يكون القارئ مشهورًا بالثقة والأمانة وحُسن الدين[5].

2 – أن يكون القارئ مجمعًا على قراءته من قِبَل أهل مصره.

3 – أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته قائمًا على أساسٍ من توفرة على العلم بالقراءة واللغة أصالةً وعمقًا))[6].

والملاحظ على مقياس ابن مجاهد هذا أنه منصبٌّ على تقويم شخصية القارئ، فهو يرى أن تقويم القارئ تقويم لقراءته[7].

((ذلك أنه أخذ على نفسه ألاّ يروي إلاّ عمَّن اشتهر بالضبط والاتقان وطول العمر في ملازمة القرّاء واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقّي منه. فلم يتم له ما أراده هذا إلاّ عن هؤلاء السبعة وحدهم، وإلاّ فإنَّ أئمة القراءة لا يحصون كثرةً وفيهم من هو أجلّ من هؤلاء قدرًا وأعظم شأنًا))[8].

رزقويه وأبو علي بن شاذان وغيره، وكان ثقة، توفي سنة (345هـ).
ينظر: معرفة القراء الكبار : 1 / 306، وغاية النهاية: 2/ 110، وتاريخ بغداد: 2 / 608.

(1) هو محمد بن أحمد بن شنبوذ، توفي سنة (328هـ).
ينظر: معرفة القراء الكبار: 1/ 276، وغاية النهاية:2/ 110.

(2) ينظر: مقدمة السبعة في القراءات/ 18 – 19.

(3) ينظر: المصدر نفسه/ 27.

(4) ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ص109.

(5) ينظر: الإبانة، مكي بن أبي طالب القيسي/ 86.

(6) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 109.

(7) ينظر: المصدر نفسه/ 110.

(8) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني:

أقول: والحقيقة أن هذا الإجماع يكون مرادفًا لصحة سند القراءة، إذ بدونه لا تكون القراءة صحيحة، كما أن تحقق العلم بالقراءة واللغة يكون مرادفًا لشَرْطَي الرسم واللغة.

ثانيًا: مقياس ابن مجاهد في اختياره للقراءة.

إنَّ الدارس لعلم القراءات القرآنية لا يجد لابن مجاهد كتابًا وصلنا سوى كتاب (السبعة في القراءات)، كما أنَّ المتفحص لهذا الكتاب لا يجد فيه الأسس التي بنى عليها اختياره، وانما أخذت تلك الأسس من مواقفه في حياته مع بعض قرّاء زمانه. ومن منهجه في كتاب السبعة فهي تتلخص أسس ثلاثة[1]:

1 –أن تكون القراءة متواترة.

2 –أن تكون القراءة مطابقة لرسم المصحف العثماني.

3 –أن تكون موافقةً للغة العربية.

وقد أخذ واستنبط الركن الأول (التواتر) من موقفه من مقرئ معاصر له معروف هو محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم العطار (ت:354هـ) الذي كان يزعم جواز الإجتهاد في القراءات، فكل قراءة صحّ لها وجه في العربية، ووافقت رسم المصحف العثماني، جاز القراءة بها عنده في الصلاة وغيرها ولو لم يكن لها سند ولم ينقلها أحد[2].

ومن ذلك قراءته في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ [يوسف/ 80] قرأها (نجباء)، وكان يذكر لها وجهًا بعيدًا مع كونها لم يقرأ بها أحد، وهي لاشك بدعة ضلّ بها ضلالًا بعيدًا. وقد رفع ابن مجاهد أمره الى السلطان، وعقد له مجلسًا حضره القضاة والقرّاء. وسُئل البرهان عن صحة ما ذهب اليه، فلم يستطع أن يدلي بأيِّ حجة، فأذعن بالتوبة من بدعته واستوهبه ابن مجاهد من ولاة الأمر ببغداد فلم يوقعوا به أذى[3].

أما الركن الثاني وهو شرط الرسم القرآني؛ فقد استنبطه العلماء من موقفه مع قارئ آخر وهو المعروف بابن شنبوذ[4] (ت:328هـ) الذي كان يتعمَّد شواذ القراءات ويقرأ بها، ويقرأ بها في الصلوات وغيرها، على الرغم من مخالفتها خط المصحف العثماني. فاشتهر أمره فحاول ابن مجاهد أن يردّه الى جادّة الصواب ولكنه لم يتوقف عن ذلك ، فرفع أمره الى أبي علي بن مقلة الوزير[5] حينئذ؛ فاستدعاه وأحضر القضاة

---

1 / 417.

(1) ينظر: الإبانة/ 15، ومدخل في علوم القراءات/ 50 – 51.

(2) ينظر: مقدمة السبعة/ 19، وغاية النهاية: 2 / 110 – 111، وصفحات في علوم القراءات/ 47.

(3) ينظر: المصادر أنفسها.

(4) هو محمد بن أحمد بن الصلت بن شنبوذ البغدادي، شيخ الاقراء بالعراق، جال البلاد في طلب القراءات مع الثقة والخير والصلاح في نفسه، توفي سنة (328هـ).
ينظر: غاية النهاية: 2 / 49 – 52.

(5) هو محمد بن علي بن الحسن، صاحب الخط المليح الذي كتب المصحف، كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها، وتنقلت أحواله الى أن استوزره المقتدر بالله ثم القاهر بالله وفي زمن الراضي بالله وبسبب الوشايات تمَّ قطع يده اليمنى، مدحه الكثير من الشعراء والادباء، توفى ببغداد سنة (328هـ).
ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 2/ 103، وفيات

والفقهاء والقرّاء وفي مقدمتهم ابن مجاهد وذلك سنة (323هـ)، وكان مما اعترف به يومئذ قراءته لقوله تعالى: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة/ 9] فقد قرأها (فامضوا الى ذكر الله) وقوله تعالى: ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف/ 79] بزيادة كلمة (صالحة) وقوله تعالى: ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة/ 5] فقرأها (كالصوف المنفوش)، وقد اعترف ابن شنبوذ بذلك فأعلن توبته[1].

((وبهذين الموقفين لابن مجاهد من ابن مقسم العطار وابن شنبوذ يكون قد وضع أصلين أساسيين في قبول القراءات: الأصل الأول أن تكون مطابقة لخط المصحف العثماني والأصل الثاني أن تكون صحيحة السند حملها رواة موثوقون حتى زمن القارئ))[2].

أما الركن الثالث وهو ركن موافقة القراءة لشرط اللغة، فقد استنبطه العلماء من منهجه في كتابه السبعة، إذ وجدوه يردّ بعض القراءات التي لا توافق العربية[3]. فضلًا عن أن القرآن هو أصل العربية ومنه تستمد سواء أكان فصيحًا أم أفصحًا.

مثال ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية رواية خارجة عن نافع في لفظ (معايش) ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ [الأعراف/ 10] فقرأها (معائش) بالهمز[4].

ومن الجدير بالذكر أن شرط اللغة كان احترازيًا لا يكاد يُذكر ((وبذلك يكون – ابن مجاهد– قد وضع الأصل الثالث لقبول أي قراءة، وهو موافقتها للعربية.. فمن كانت قراءته تطابق هذه الأصول قُبلت وقبلها العلماء والقرّاء. ومتى اختلّ أيُّ أصل منها أو قاعدة رُفضت ولم يقبلها القرّاء والعلماء))[5].

المبحث الثالث
ابن الجزري والقراءات القرآنية

يتضمن هذا المبحث مطلبين هما:

الأول: القراءات القرآنية قبل عصر ابن الجزري.

والثاني: المقياس الإقرائي عند ابن الجزري.

المطلب الأول: القراءات القرآنية قبل عصر ابن الجزري:

مضى القرن الرابع الهجري وقد أطبقت الأمة الاسلامية على تواتر القراءات السبع كما اختارها ابن مجاهد، وراحت المدارس الإسلامية تبذل الجهود المتظافرة في إظهار هذه الأسانيد وتحديد رواتها وطرقها حتى بلغت الغاية من ذلك، يؤيّده في ذلك شهرته العلمية، وعلوّ كعبه في العلم أصالةً وعمقًا[6].

ومن الحق أن ابن مجاهد حين اختار السبعة لم

الأعيان، ابن خلكان، 5/ 117.

(1) ينظر: مقدمة السبعة/ 18، والمرشد الوجيز لأبي شامة: 190–189/ 1 وغاية النهاية: 2 / 51 – 52.

(2) السبعة/ 19.

(3) السبعة/ 18، وصفحات في علم لقراءات/ 48.

(4) ينظر: السبعة/ 278، والاتقان في علوم القرآن:1 / 263، ومدخل في علوم القراءات/ 58.

(5) مقدمة السبعة/ 19 – 20.

(6) ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 36 – 37.

يسقط رواية من سواهم، بل دعاها شاذَّة. ونراه حين ينصُّ من حين الى آخر على قراءات نفر منهم، وقد ألّف فيهم كتابًا أسماه (شواذ القراءات) كان الأساس الأول لابن جني (ت:322هـ) في كتابه (المحتسب في شواذ القراءات)، وقد جعلهم وراء السبعة في علم السند والرواية[1].

وظلّت الأمة الاسلامية قرونًا تقرأ بالقراءات التي اختارها ابن مجاهد. ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ ما سواها متروك لأن هناك من اعترض على اختيار ابن مجاهد للقرّاء السبعة. ويلخِّص ذلك مكي بن أبي طالب القيسي اذ يقول: ((ولم تُترك القراءة بقراءة غيرهم، واختيار من أتى من بعدهم الى الآن، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة، وكذلك قراءة عاصم الجحدري، وقراءة أبي جعفر، وشيبة إمامَي نافع..))[2].

وقد توالت التآليف في القراءات السبع وكان من أهمها مؤلفات أبي عمرو الداني عثمان بن سعيد (ت:444هـ) أمثال (التيسير في القراءات السبع)[3] الذي يعدّه ابن الجزري ((من أصح كتب القراءات وأوضح ما أُلّف عن السبعة في الروايات))[4]، وكتاب (جامع البيان في القراءات السبع) الذي قال فيه ابن الجزري: ((كتاب جليل في هذا العلم لم يؤلَّف مثله))[5].

(1) ينظر: مقدمة كتاب السبعة/ 22.
(2) الإبانة/ 48 وينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 47.
(3) ينظر: القراءات القرآنية/ 41.
(4) ينظر: تحبير التيسير لابن الجزري/ 7.
(5) النشر1 / 53.

وقد احتلّ كتاب التيسير من بين هذه الكتب مكانة بارزة وتلقّاه الناس بالقبول؛ فاعتنوا به حفظًا وروايةً وشرحًا ونظمًا. قال أبو شامة: ((..صُنّف كتاب التيسير لأبي عمرو الداني -رحمه الله- فاعتُمد عليه وصُرفت العناية إليه لما فيه من التنقيح والإختيار والتحرير والإختصار))[6].

وقد قيّض الله لهذا الكتاب عالِمًا جليلًا من أئمة القرّاء في الغرب الإسلامي؛ فعرضه من حفظه، ونظمه في قصيدة رائعة عزَّ نظيرها سمّاها (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع). بل زاد فيها بعض المسائل، ذلكم هو الإمام أبو محمد القاسم الشاطبي[7] -رحمه الله-.

وقد نالت هذه القصيدة من الشهرة والقبول في هذا الفن ما لا يُعلم لغيرها؛ فتنافس الناس فيها قراءةً وحفظًا، وروايةً وشرحًا ومعارضة، وتركوا ما سواها من مصنَّفات القراءات السبع الى عصرنا الحاضر[8].

وتعدُّ منظومة الشاطبية من أعظم أسباب شهرة كتاب التيسير، وذلك ((لأن التيسير والشاطبية سيطرا

(6) ابراز المعاني:1/ 28.
(7) هو الامام العلامة أبو محمد القاسم بن فيرُّه بن خلف بن احمد الشاطبي الرعيني الضرير، ولد عام (538هـ) في مدينة شاطبة بالأندلس، كفّ بصره صغيرًا، حفظ القرآن وتعلم طرفًا من الحديث والفقه، وهو من علماء القراءات المبرّزين، من أشهر تلامذته علم الدين السخاوي، توفي سنة 590هـ في مصر.
ينظر: غاية النهاية: 2/ 22.
(8) ينظر: ابراز المعاني/ 82 - 83.

سيطرة كبيرة على الجوّ الدراسي للقراءة القرآنية، ولأن الشاطبية حظيت بشروح عدّة كانت القراءات السبع ولا تزال مثار الدراسة والبحث ومدارهما))[1].

ومن الجدير بالذكر أن ثمة قراءات لها من الشهرة والاستفاضة ومنزلة رجالها أمثال قراءة أبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي وخلف البزّار، ومع ذلك لم يستطع أحد أن يلحق هذه القراءات الثلاث بالسبع المتواترة، وكان علينا أن ننتظر خمسة قرون أخرى حتى يجئ ابن الجزري الذي بلغ في القرن التاسع منزلة فريدة في مرجعية الإقراء تسامي ما كان عليه ابن مجاهد في القرن الرابع.

المطلب الثاني: المقياس الإقرائي عند الإمام ابن الجزري

ذكرت – فيما سبق– أنَّ القرّاء وضعوا مقاييس للقراءة المتواترة ليميّزوا به المتواتر من الشاذ. ومرّت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت وفق تطور علم القراءات. وذكرنا أن أقدم هذه المقاييس هو مقياس ابن مجاهد البغدادي، وآخرها مقياس ابن الجزري الذي استقر عليه العرف الإقرائي حتى يومنا هذا[2].

ويمكننا تلخيص المقياس الإقرائي عند الإمام ابن الجزري –رحمه الله– بثلاثة أركان هي:

1 –أن تكون القراءة صحيحة السند.

2 –أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.

3 –أن تكون موافقة للغة العربية ولو بوجه[3].

((ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة، أُطلق عليها ضعيفةً أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم))[4].

وقد وسَّع ابن الجزري في مقياسه هذا مستوى صحة السند؛ فاكتفى بالشهرة والإستفاضة، لأن الإستفاضة تفيد القطع المطلوب في إثبات قرآنية القراءة[5]؛ فالقراءة الصحيحة عنده إما متواترة أو مستفيضة[6].

وكان ابن الجزري قد صرّح أولًا بالتواتر في كتابه – منجد المقرئين– ثم تراجع عنه في كتابه –النشر– إذ قال: ((ولقد كنت قبل أجنح الى هذا القول، ثم ظهر فساده))[7].

ويبرز ابن الجزري – رحمه الله– هذه الحقيقة في عدم شرطه للتواتر إذ قال: ((وقد اشترط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتفِ بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه الى الركنين الأخيرين..))[8].

وقد اعترض على هذا لمخالفته الإجماع على تواتر

(1) القراءات القرآنية/ 42.
(2) ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 109.
(3) ينظر: النشر:1 / 15.
(4) المصدر نفسه،: 1 / 15.
(5) ينظر: صفحات في علوم القراءات/ 50.
(6) ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 50.
(7) النشر:18/ 1.
(8) المصدر نفسه:1/ 18.

قرآنية القراءات، وأجيب عنه: ((بأنَّ هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بالقراءة المقبولة، وذلك لأنَّ ما بين دفتي المصحف متواتر ومجمع عليه؛ فاذا صحّ سند القراءة ووافقت قواعد اللغة، ووافقت خط المصحف المتواتر، كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة العلم القاطع، وإن كانت آحادًا إذ من المقرر في علوم الحديث أنَّ خبر الآحاد يفيد العلم اذا احتفَّت به قرينة توجب ذلك))[1].

قلت: ولا يفهم من هذا أن القراءات الثلاث التي اختارها ابن الجزري غير متواترة، فالسبعة متفق على تواترها بين أهل العلم، والثلاثة مُختلف عليها، وقد أُلحقت بالمتواترة وإن لم تبلغ مبلغها.

قال ابن الجزري: ((فثبت من ذلك أن القراءات الثلاث متواترة تلقّاها جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب..))[2]. وقال أيضًا: ((وأما العشر فأجمع الناس على تلقّيها بالقبول لا ينازع في ذلك إلاّ جاهل))[3]. وقال كلمة الفصل الأخيرة: ((والصحيح أنّ ما وراء العشرة فهو شاذ))[4]. ومثلما وسَّع في شرط مستوى السند وسّع في ركن موافقة الرسم إذ قال: ((ولو احتمالًا))[5] ليشمل كل القراءات التي أجمعت الأمة على صحّتها واستفاض نقلها.

يقول ابن الجزري –رحمه الله–: ((وقولنا بعد ذلك ولو احتمالًا نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديرًا؛ إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقًا وهو الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديرًا وهو الموافقة احتمالًا، فانه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعًا نحو ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ و﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ..

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقًا ويوافقه تقديرًا نحو ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة/ 4] إنَّه كُتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقًا.. وانظر كيف كتبوا (الصراط، والمصيطرون) بالصاد المبدّلة من السين وإن خالفت الرسم من وجه أتت على الأصل فيعتدلان؛ وتكون قراءة الإشمام[6] محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل (السراط، والمسيطرون) لفات ذلك وعدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل..))[7].

وما جرى على الركنين الأوليين، جرى على الركن الأخير ألا وهو شرط اللغة، فقد وسَّع فيه أيضا، إذ قال: ((أن تكون موافقة للغة العربية ولو بوجه))[8]. وقد بيَّن معنى ذلك إذ قال: ((وقولنا في الضابط (ولو

(1) اللآلئ الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين/ 103.
(2) منجد المقرئين/ 18.
(3) المصدر نفسه/ 31.
(4) المصدر السابق/ 24.
(5) النشر: 1 / 15.

(6) يراد بالاشمام هنا: مزج أو خلط حرف الصاد بحرف الزاي وتكوين حرف آخر ماهو بصاد ولا زاي، ولكن يكون حرف الصاد متغلبًا على حرف الزاي ولا يضبط ذلك الا بالمشافهة.
ينظر: الوافي، عبد الفتاح القاضي/ 51.
(7) النشر: 1 / 17.
(8) المصدر نفسه: 1/ 15.

بوجه) نريد به وجهًا من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحًا مجمعًا عليه، أم مختلفًا فيه))[1].

ومما تجدر الإشارة اليه أنَّ شروط القراءة باديء الأمر كانت مرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة أم متواترة، وهو ما يعبِّر عنه في العُرف القرائي بأن القراءة سنّة يتلقاها الآخر عن الأول. ثم تطور حالها الى شرطٍ ثانٍ، وهي أن تكون موافقة للغة العربية[2].

وفيما إخاله أنّ هذين الشرطين الأخيرين هما شرطان احترازيان أو وقائيان دعت الضرورة لوضعهما من قبل علماء الإقراء، عندما رأوا كثرة القراءات واختلاط الصحيح بغيره، حتى يتسنّى لهم الفصل بين الصحيح والشاذ.

المبحث الرابع
الإختيار عند ابن مجاهد البغدادي وابن الجزري -رحمهما الله تعالى-

يتألف هذا المبحث من مطلبين هما:

الأول:الاختيار عند ابن مجاهد البغدادي.

والثاني:الاختيار عند الإمام الإمام ابن الجزري

المطلب الأول: الإختيار عند ابن مجاهد البغدادي

لقد ذكرت في المبحث الأول معنى الإختيار، وأن المراد من اختيار ابن مجاهد هنا اختياره القرّاء السبعة من بين عدد كبير من القرّاء الذين كانوا معروفين ومشهورين في زمانه.، وساضمنه أربع فقرات هي:

أولا: أسباب الإختيار.

ثانيا: الأمصار التي اختار منها القرّاء السبعة.

ثالثا: مفهوم الإختيار عند ابن مجاهد.

رابعا: تحديد ابن مجاهد العدد سبعة واعتراض العلماء عليه.

وسأتناول ذلك بالتفصيل:

أولا: أسباب الإختيار

يمكن لي أن أوجز أسباب اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة بالنقاط الآتية[3]:

1 –كثرة القراءات: لقد تكاثرت القراءات القرآنية في عصر ابن مجاهد البغدادي حتى وصل بها أبو عبيد القاسم بن سلاّم نحو ثلاثين قراءة، وأوشك ذلك أن يكون بابًا لدخول شيئ من الإضطراب على ألسنة القرّاء، وكان منهم المتقن وغير المتقن الذي يعتريه النسيان.

2 –ظهور بعض القرّاء أمثال ابن شنبوذ الذي يروي قراءة مخالفة للرسم العثماني عن مصحفي أُبَيّ بن كعب وابن مسعود –رضي الله عنهما– وآخرون مثل ابن مقسم العطار يستنبطونه بعقولهم من احتمالات القراءة لخط المصحف العثماني دون سند أو رواية، مما جعل الحاجة تشتدّ الى شيخ من شيوخ الإقراء النابهين ليضع الأصول والأركان لقبول القراءات من جهة، واختيار طائفة نابهة من القرّاء يكتفى بها عمَّن سواهم، فاجتهد

(1) المصدر نفسه، 1 / 15.

(2) ينظر: تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين/ 203.

(3) ينظر: مقدمة السبعة/ 18 – 20.

للأمة وللدين وقرآنه العظيم.

3 –المكانة السامية، فقد فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظرائه من أهل صنعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته ونسكه، واشتهر أمره وبعد صيته؛ فأقبل عليه طلاب القراءات من كل بلد حتى ليقال إنه كان في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس، فما بالنا بعدد الناس أنفسهم؟ لقد ظلَّ نحو أربعين عامًا قبل وفاته وخلائق لا تكاد تحصى تتحلق من حوله وتأخذ عن لفظه كتاب الله تعالى، وتعدّ ذلك مغنمًا لا يماثله مغنم.

ثانيا: الأمصار التي اختار منها القرّاء السبعة.

سأذكر الأمصار التي اختار ابن مجاهد منها القرّاء السبعة وفق كتابه السبعة الذي يُعدُّ أهم كتاب في القراءات وصلنا، وكما يأتي:

1 – المدينة المنورة

أول من ابتدأ بذكره من أئمة الأمصار من قام بالقراءة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما بدأت بذكر أهل المدينة لأنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعدن الأكابر من صحابته؛ فكان الإمام الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وكان عالما بوجوه القراءات، متَّبعًا لآثار الأئمة الماضين ببلده، أخذ القراءة عن جماعة من التابعين[1].

وبهذا نرى أن ابن مجاهد عندما ابتدأ، اختار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرّكًا، لأنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعدن الأكابر من الأنصار من صحابته الأخيار. وقد قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

فأما الكريمُ السِرِّ في الطيبِ نافعٌ

فذاكَ الذي اختارَ المدينة مَنزِلا[2]

2 – مكة المكرمة

وهي المصر الثاني الذي اختار منه ابن مجاهد قارءها الثاني عبد الله بن كثير المكي (ت:120هـ) فكان الإمام الذي انتهت إليه القراءة بمكة، وائتم به أهلها في عصره. وكان في عصر ابن كثير بمكة ممن تجرّد للقراءة وقام بها ابن محيصن[3]، بيد أنه لم يُجمع أهل مكة على قراءته كما أجمعوا على قراءة ابن كثير[4].

قال الإمام الشاطبي:

ومكةُ عبد الله فيها مُقامُه

هو ابنُ كثيرٍ كاثرُ القومِ مُعتلى[5]

3 – الكوفة

وهي المصر الثالث من الأمصار، وقد كان نصيبها ثلاثة قرّاء، عاصم بن أبي النجود (ت:127هـ)، وحمزة

(1) ينظر: السبعة/ 53، وصفحات في علوم القراءات/ 320.

(2) حرز الأماني ووجه التهاني: البيت رقم: 25.

(3) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، وهو أحد القراء الأربعة عشر، قال عنه ابن الجزري: لولا ما في قراءته من مخالفة المصحف العثماني لألحقتها بالقراءات المشهورة، توفي سنة (123هـ). ينظر: غاية النهاية: 2/ 148.

(4) ينظر: السبعة/ 65–64.

(5) حرز الأماني: رقم البيت:27.

بن حبيب الزيات (ت:156هـ)، وعلي الكسائي (ت:189هـ)، وقد رأى ابن مجاهد أن لكل قارئ منهم مذهبًا متميزًا في القراءة ينفرد به عن زميليه حمله عنه جلّة القراء في العالم الإسلامي، فرأى أن يستبقيهم جميعًا. ولهذا كان للكوفة أهمية كبيرة[1]، وقد ذكرها الإمام الشاطبي في منظومته إذ قال[2]:

وبالكوفة الغرّاء منهم ثلاثةٌ
أذاعوا فقد ضاعت شذًا وقرنفُلا
فأمّا أبو بكرٍ وعاصمٌ اسمُهُ
فشعبةُ راويهِ المُبرِّزُ أفضَلا
وحمزةُ ما أزكاهُ من متورّعٍ
إمامًا صبورًا للقرآنِ مُرَتّلا
وأما علـيٌّ فالكسائيُّ نَعتُهُ
لِما كان في الإحرامِ فيه تسَربَلا

4 – البصرة

وأما البصرة فهي المصر الرابع، فقام بالقراءة فيها بعد التابعين جماعة كان من أهمهم أبو عمرو بن العلاء البصري (ت:154هـ)، وكان مقدّمًا في عصره عالمًا بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم وإمام الناس في العربية[3].

5 – الشام

وهو المصر الخامس وقراءتهم مسندة الى عبد الله بن عامر اليحصبي قاضي الشام (ت:118هـ)[4]، وقد قال الإمام الشاطبي في قارئي البصرة والشام:

أبو عَمرهِم واليَحصبيُّ ابنُ عامر
صريحٌ وباقيهم أحاط به الوَلاَ[5]

وهما الإمامان العربيان اللذان نسبهما من صميم العرب، ولم يَشُبهُ شائبةُ رِقٍّ ولا ولادة عَجم، وباقي الأئمة السبعة أحاط به الوَلا، بمعنى أن أنسابهم شابها رقٌّ أو ولادة العجم[6].

((فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين، وأجمعت على قراءتهم العوام – عامة القرّاء – من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سُميّت..))[7]. وهؤلاء السبعة لزموا القيام بمصحفهم، وانتصبوا لقراءته، وتجرّدوا لروايته، ولم يشتهروا بغيره ولم يبتدعوا[8].

ثالثا–مفهوم الإختيار عند ابن مجاهد البغدادي

سبق لي أن عرّفت الإختيار في المبحث الأول من البحث، وقلت ناقلا هو: ((ملازمة إمام معتبر أو أكثر من القراءات فينسب إليه على وجه الشهرة والمداومة، لا على وجه الاختراع والرأي والاجتهاد، ويسمى ذلك الإختيار حرفًا وقراءة واختيارًا كلّه بمعنى واحد فيقال

(1) ينظر: السبعة/ 20.
(2) حرز الأماني: الأبيات رقم: 39،37،35،34 على التوالي.
(3) ينظر: السبعة/ 79.
(4) المصدر نفسه،/ 85.
(5) حرز الأماني ووجه التهاني/ بيت رقم:41.
(6) ينظر: ابراز المعاني، أبو شامة المقدسي/ 60.
(7) السبعة/ 87.
(8) ينظر: المرشد الوجيز، أبو شامة المقدسي:1 / 159.

اختيار نافع وحرف نافع))[1].

والحقيقة أنّ ((ابن مجاهد لم يختر السبعة نافعًا وابن كثير وعاصمًا وحمزة والكسائي وأبا عمرو بن العلاء وعبد الله بن عامر إلاّ بعد اجتهاد طويل ومراجعة متأنية في السنوات الطوال غير مدّخر جهدًا ولا قوة، متكلفًا للأمة ما تنوء به العصبة القوية من العمل المرهق العسير ممضيًا فيه بياض أيامه وسواد لياليه، لا يكلّ ولا يملّ ولا يحفل بعناء أو مشقة حتى استطاع أن يستخلص تلك القراءات الوثيقة راضيًا مغتبطًا بما أدى من هذا الواجب العظيم، وتبعه جمهور العلماء والقراء في الأمة فحملوا عنه قراءات هؤلاء السبعة..))[2].

والحقيقة أن ابن مجاهد حين اختار السبعة لم يسقط رواية مَن سواهم بل دعاها شاذة، ونراه ينصّ من حين لآخر على قراءات نفر منهم، وقد ألّف فيهم كتابًا كان هو الاساس الأول لابن جني (المحتسب في شواذ القراءات)(3)، بل نجده يستشهد في كتابة السبعة بقراءات غير القراء السبعة- كقراءة الإمام أبي جعفر وقراءة الإمام شيبة بن نصاح وغيرهما[4].

والشذوذ عنده لا يعني الضعف انما يعني قلّة القراءة به في الأمصار بالقياس الى قراءات السبعة، على أن هذه القلّة لا تعني عدم التواتر، فقد تداولها هي الأخرى أئمة ثقات وقراء حفظة متقنون، بحيث أصبحت لها صفة التواتر، واعتمدها العلماء، وظلّت تتداولها الأجيال جيلًا بعد جيل الى اليوم[5].

واذا أمعنا النظر في الثلاثة الذين ألحقهم ابن الجزري وجدنا أولهم أبا جعفر يزيد بن القعقاع مقرئ المدينة كان أستاذًا لنافع، وكأنّ ابن مجاهد اكتفى بالتلميذ عن الأستاذ؛ لأن قراءته كانت أكثر شيوعًا على ألسنة القراء بمصره، وبالمثل اكتفى بأبي عمرو البصري عن تلميذيه يعقوب الحضرمي واليزيدي أحد القراء الأربعة عشر، ولعله ترك قراءة خلف بن هشام البزّار لما ذكره ابن الجزري من أن قراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين(6).

ومما يدل على إخلاص ابن مجاهد في عمله في القراءات، ما يروى أن بعض تلامذته ممن بهرته سعة روايته للقراءات وعلمه بوجوهها وضبطه لحروفها على الرغم من كثرتها قيل له: لِمَ لا تختار لنفسك قراءة تُحمل عنك؟ فأجابه الإمام قائلًا: ((نحن إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا الى اختيار حرف يقرأ به مَن بعدنا))[7].

وبهذا الإخلاص المحض والتجرد الفذ نرى أن ابن مجاهد وهب نفسه للوقوف على القراءات واستيعابها، ولم يفكر في أن يفرد لنفسه قراءة يشتهر بها وتُعرف به وتُحمل عنه، ولو فكّر في ذلك لاستطاع في يُسر

(1) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات:1 / 15.
(2) مقدمة السبعة/ 23.
(3) المصدر نفسه/ 22.
(4) ينظر: المصدر نفسه/ 28 - 30، وصفحات في علم القراءات/ 51.
(5) ينظر: مقدمة السبعة/ 22.
(6) ينظر: المصدر نفسه/ 22 - 23، والنشر:1 / 39، وصفحات في علوم القراءات/ 52.
(7) السبعة/ 24.

وسهولة، ولكن لم تكن هذه وجهته، وانما كانت وجهته أن يستخلص للأمة أهم القراءات الموثوقة التي شاعت وذاعت في الأمصار الاسلامية. ((وصار كتابه – السبعة– هو المعوّل عليه والمرجع الأساس لكل مَن أتى بعده، فألّفوا مصنفاتهم على ضوئه على ما هو معروف عن الإمامين الجليلين أبي عمرو الداني مؤلف كتاب التيسير في القراءات السبع وأبي محمد القاسم بن فيرُّه الشاطبي ناظم حرز الأماني..))[1].

رابعا–تحديد ابن مجاهد العدد سبعة واعتراض العلماء عليه:

لقد اعترض بعض العلماء والدارسين قائلين: لماذا اختار ابن مجاهد سبعة من القراء؟ لماذا لم يكونوا أقلّ أو أكثر من ذلك؟ ومن أوائل مَن حمل على ابن مجاهد لتخصيصه هؤلاء السبعة الإمام أحمد بن عمار المهدوي[2] اذ قال: ((ولقد فعل مسبِّع السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله، وأوهم كل من قلّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي[3] لا غير، وأكّد وهم اللاحق السابق، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة))[4].

ومثله مكي بن أبي طالب القيسي (ت:437هـ) إذ يقول: ((وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجلّ قدرًا من هؤلاء السبعة... فكيف يجوز أن يظن ظانّ أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها؟ هذا تخلّف عظيم! أكان ذلك بنص من النبي صلى الله عليه وسلم أم كيف ذلك؟ وكيف يكون ذلك والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره، وكان السابع يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب))[5].

وللإجابة على هذا السؤال، فقد ذكر مكي بن أبي طالب عدة أقوال وكما يأتي[6]:

1 –انهم جُعِلوا سبعة وفق عدد المصاحف التي بعثها سيدنا عثمان –رضي الله عنه– الى الأمصار.

2 –إنهم جُعلوا سبعة وفق الحديث الشريف: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف))[7].

ولم يترجح ذلك عندي، وذلك لأن عدد المصاحف سبعة أمر غير مقطوع به عند العلماء، وأن القراءات

(1) صفحات في علوم القراءات/ 53.

(2) هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، نسبة الى المهدية بالمغرب، أستاذ مشهور له مؤلفات عديدة منها الهداية في القراءات السبع، قرأ عليه خلق كثيرون، توفي بعد سنة (430هـ).
ينظر: غاية النهاية:1 / 86.

(3) يريد به حديث ((ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)) وسيأتي تخريجه.

(4) النشر:35/ 1، وينظر: مقدمة السبعة/ 21.

(5) الإبانة عن معاني القراءات/ 90، والنشر:1 / 35 – 36، وينظر: مقدمة السبعة/ 21.

(6) الإبانة/ 90.

(7) صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة احرف:4 / 1909.

السبع هي جزء من الأحرف السبعة، كما نصّ المحققون على ذلك[1].

والذي أذهب اليه أن ابن مجاهد –رحمه الله– لم يكن قد تعمّد العدد سبعة من القراء، وانما اختار الأمصار الاسلامية الشهيرة بالمقرئين، فاختار منها ما كان مشهورًا وتجرّد للإقراء فوافق العدد سبعة، ولم يقصد العدد ذاته، فكان اقتصاره على السبعة القراء دون قصد منه وليس كما ظن البعض. أما من سبق الى ذهنه أن ابن مجاهد اعتقد أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، فهو ليس مسئولا عن خطأ غيره أو وهمهم، ولو ظن ذلك لأبطل بقية القراءات، والواقع عكس ذلك، حيث جعلها وراء السبع في المرتبة[2].

ودفعًا للأوهام هذه التي تولدت في عقول الناس توالت المؤلفات، فنرى ابن غلبون الحلبي (ت:399هـ) قد كتب تذكرته في القراءات الثمان، والكافية في القراءات الست لهبة الله بن أحمد الحريري (ت:531هـ)، ومفردة يعقوب لعبد البارئ الصعيدي (ت:بعد650هـ)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري وغيرهم[3].

المطلب الثاني: الإختيار عند الإمام ابن الجزري

لقد مرّ بنا في المبحث الثالث، وبعد أن مضى القرن الرابع الهجري وأن الأمة الاسلامية قد أطبقت على تواتر القراءات السبع كما اختارها الإمام ابن مجاهد البغدادي، وراحت المدارس الإسلامية تبذل الجهود المتضافرة في إظهار أسانيد القراءات السبع وتحديد رواتها وطرقها، يؤيد ابن مجاهد شهرته العلمية وعلو كعبه في العلم أصالة وعمقًا، ظلّت الأمة الاسلامية تقرأ بالقراءات السبع ولم يستطع أحد أن يتقدم على ما اجتهد به ابن مجاهد، لأن الأمة الاسلامية في حينها لم تنجب عالمًا بمنزلته إلاّ بعد خمسة قرون ألآ وهو ابن الجزري –رحمه الله– .

وسبق لي أن ذكرت في المبحث الثالث أن ابن مجاهد حين اختار السبعة القراء لم يسقط رواية مَن سواهم بل دعاها شاذة أي وراء السبعة في علم السند والرواية، وظلَّت القراءات الثلاث، قراءة أبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي وخلف العاشر شأنها شأن القراءات الأخرى لم ترقَ الى القراءات المتواترة، وهذا لا يعني أنها متروكة، فهذا مكي بن أبي طالب القيس يقول:((ولم تترك القراءة بقراءة غيرهم واختيار من أتى من بعدهم الى الآن، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة، وكذلك قراءة عاصم الجحدري وقراءة أبي جعفر وشيبة إمامي نافع))[4]، وذاك ابن مهران (ت:381هـ) قد ذكر القراء الثلاثة أبو جعفر ويعقوب وخلف في كتابه (المبسوط في القراءات العشر) وذكر أسانيدها[5]، والهذلي (ت:465هـ) كذلك ذكرها

(1) ينظر: الإبانة/ 32، والنشر: 1/ 31.
(2) ينظر: منجد المقرئين/ 71 – 73، ومناهل العرفان، الزرقاني/ 417، وصفحات في علوم القراءات/ 51.
(3) ينظر: صفحات في علوم القراءات/ 50.
(4) الإبانة/ 48، وينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ 36.
(5) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين النيسابوري (ت:381هـ)/ 8 – 11 ، 77 – 85.

وأسانيدها في كتابه (الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها)[1].

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن، هل يوجد نص أو دليل يثبت لنا أن الإمام ابن الجزري هو من أضاف القراءات الثلاث فغدت عشرا؟

والحقيقة أني لم أقف على نصّ صريح يذكر ذلك، إلاّ أنني وجدت العلماء والقراء بعد عصر ابن مجاهد يخصّون السبعة بالتواتر مقتفين بذلك أثر ابن مجاهد مسبّع السبعة، فهذا ابن الباذش (ت:540هـ) يقول:

((وإني تأملت كتابيْ الشيخين الإمامين: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي وأبي عمرو عثمان بن سعيد القرشي (الداني) –رضي الله عنهما– في التبصرة والتيسير فألفيت معناهما للاسمية موافقا وباطنهما للعنوان مصاحبا مرافقا...ولا درك عليهما، بل لهما الدرك والسبق الذي لا يدانى ولا يدرك...))[2].

وهذا يعني أن الإمام ابن الباذش قد تابع مكي بن ابي طالب والداني في اختيارَيهما السبعة، تبعا لما اختاره ابن مجاهد البغدادي وذاك الإمام محي الدين النووي (ت:676هـ) نجده يصرح في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن) إذ يقول:

((وتجوز قراءة القرآن بالقراءات السبع المجمع عليها ولا يجوز بغير السبع ولا بالروايات الشاذة المنقولة عن القراء السبعة))3.

والنووي –رحمه الله– متأخر وفاته (676هـ) قبل ابن الجزري المتوفى (833هـ)، فليس من المعقول أن يردَّ النووي قراءات متواترة أجمعت الأمة عليها، فدلّ ذلك على عدم الاجماع على تواترها، مما يؤكد لنا أنها أضيفت بعده.

وفي مطلع القرن التاسع الهجري أصبح ابن الجزري مرجع العالم الاسلامي قي القراءة والاقراء، ولذلك فانه أعاد على بساط البحث مسألة القراءات الثلاث التي اُختلف في تواترها، وقام باثبات تواتر أسانيدها بالحجج الواضحة أسعفه في ذلك كونه محدثًا[4]، ثم نظم بهنّ نظمًا من البحر الطويل على نهج الشاطبية أسماه: (الدرّة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر)، وبذلك فانه بوّأ هذه القراءات الثلاث منزلة السبع المتواترات التي قررها ابن مجاهد، ثم صنف بعد ذلك كتابه الشهير (النشر في القراءات العشر)[5].

((ولم يكن ابن الجزري لينفرد بهذا الإختيار من تلقاء نفسه لو لم تكتمل لديه آلة هذا العلم ومادته، ولا زالت مرجع القراء والحفاظ في هذا الفن، وخلال المدة ما بين ابن مجاهد وابن الجزري كتبت أمهات الكتب في علم القراءات، وأصبح واضحًا لكل مشتغل بهذا العلم أن

(1) ينظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي الهذلي (ت:465هـ)/ 290،265،165.

(2) الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد الغرناطي المعروف بابن الباذش (ت:540هـ) / 8.

(3) التبيان في آداب حملة القرآن، محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:676هـ) / 97.

(4) ينظر: الامام ابن الجزري محدثًا/ 2.

(5) ينظر: الايضاح لمتن الدرّة، عبد الفتاح القاضي/ 14 – 15، والمزهر في شرح الشاطبية والدرة/ 450.

هذا العلم قد نضج واكتمل، وأن الحاجة فيه الى الترتيب والإختيار باتت مؤكدة، وأصبح العلماء ينتظرون كلمة الحسم التي جاء بها ابن الجزري فيما بعد))[1].

ولرب سائل يسأل فيقول: كيف غابت هذه القراءات الثلاثة عن علماء الأمة مدة خمسة قرون؟ وأجيب عنه: لم تنجب الأمة عالمًا بمنزلة ابن مجاهد إلاّ بعد خمسة قرون ألا وهو ابن الجزري –رحمه الله– فإنه الوحيد القادر على إعادة المسألة على بساط البحث، وقد أسعفه في ذلك كونه محدثًا فأثبت للأمة أن هذه القراءات متواترة مشهورة مع علوّ كعب رجالها[2].

ويمكننا أن نستخلص مما ذكرنا أن أسباب اختيار ابن الجزري للقراء الثلاثة المتممين للعشرة هي:

1 – تواتر أسانيد هذه القراءات، وقد أثبت ذلك في كتابه (تحبير التيسير) حيث أورد سند هذه القراءات الثلاث المتواتر[3].

2 – شهرتها واستفاضتها وإن كانت أقل من القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد.

3 – هناك اختلافات يسيرة بين هذه القراءات الثلاثة ونظيراتها أي: بين نافع المدني وأبي جعفر وأبي عمرو البصري ويعقوب، وحمزة وخلف البزّار، فأراد ابن الجزري –رحمه الله– أن لا يفوته شيء من أمر القراءة لهؤلاء الثلاثة، على الرغم من اتفاقهم في جلّ الأصول.

فعلى سبيل المثال لا الحصر فإن لأبي جعفر –مما خالف فيه نافعًا– في الأصول السكت على الحروف المقطعة في أوائل السور، وله غنة النون الساكنة عند حرفي الغين والخاء إلاّ ما استثني، وغير ذلك[4].

ومثل ذلك يعقوب فقد خالف أبا عمرو البصري في بعض الأصول، فله هاء السكت وقفًا عند نون الإناث المسبوقة بهاء نحو (عليهنّ) فقرأها وقفًا (عليهُنّهْ)، وياء المتكلم المشددة نحو (إليّ)، و (عليّ) فقرأها وقفًا (إليَّهْ)، و (عليَّهْ)[5]، وجمع المذكر السالم والملحق به نحو: (الأولون) فقرأها وقفًا (الأولونهْ) و (العالمين) فقرأها وقفًا (العالمينهْ)، وهذا من طريق طيبة النشر بالخُلْف(6). أما خلف العاشر فقد خالف شيخه حمزة في حرف واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الأنبياء/ 95] وقد قرأها حمزة (وحِرْم على قرية أهلكناها)[7]، واختلف معه في بعض الأصول كالمد والسكت والهمز وغير ذلك8. وكل ذلك يُرجَع اليه في مطولات كتب القراءات.

أما على صعيد فرش الكلمات فهناك اختلافات لا

(1) القراءات القرآنية وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية/ 76 – 77.
(2) ينظر: الامام ابن الجزري محدثًا/ 2.
(3) ينظر: تحبير التيسير/ 34 – 37
(4) ينظر: الإضاءة في بيان اصول القراءة/ 100 – 101، والايضاح لمتن الدرة/ 95، 69.
(5) ينظر: الاضاءة/ 95، والمزهر في شرح الشاطبية والدرة/ 474–473.
(6) ينظر: شرح طيبة النشر، أبو القاسم النويري: 2/ 172، وشرح طيبة في القراءات العشر، أنس مهرة/ 145.
(7) ينظر: معرفة القراء الكبار: 1/ 208، وغاية النهاية: 1 / 247.
(8) ينظر: الايضاح لمتن الدرة / 41 – 42، 62.

يستهان بها بين نافع وأبي جعفر، وأبي عمرو البصري ويعقوب، وحمزة وخلف العاشر، يمكن الرجوع اليه في مطولات كتب القراءات، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله خير الورى وعلى آله وصحبه وسلم، ففي ختام البحث أودّ أن أسجّل أبرز وأهم النتائج التي توصلت اليها:

1 – إن الإختيار نوعان اختيار القارئ واختيار الرواية، وأن الإختيار لابن مجاهد البغدادي وابن الجزري لم يكن اجتهاد في وضع القراءة أو الرواية، انما اختيار من بين المرويات المتواترة الموافقة لرسم المصحف واللغة ولو بوجه.

2 – إن القارئ يختار الرواية التي أخذها عن شيوخه كاملة من أول القرآن الى آخره، لا أن ينتقي حرفًا من هذه القراءة وحرفًا من تلك ويؤلف القراءة، لأن هذا سينتهي الى ما يُعرَف بالتلفيق، والقراءة سنّة متبعة لا مبتدعة.

3 – إن لاختيار ابن مجاهد قيمة علمية، ولولا اختياره لعمّت الفوضى في القراءات بسبب كثرتها واختلاطها، ولاختيار ابن الجزري قيمة علمية عليا، فلولا اختياره لذهبت قراءات متواترة تحتوي من الأصول والفرش ما لا تحتويه القراءات السبع المتواترة.

4 – إن هدف ابن مجاهد في اختياره هو لتوحيد الأمة على القراءات المتواترات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سائرًا على خطى سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– عندما جمع الناس ووحدهم على مصاحف الأمصار.

5 – إن اختيار ابن الجزري للقراءات الثلاث كان بسبب شهرتها وصحة سندها، مما لا يدع مجالًا للشك في تواترها، وقد تقوّت بموافقتها للرسم القرآني واللغة العربية.

6 – لقد استطاع ابن الجزري أن يثبت للأمة آنذاك أن القراءات الثلاث متواترة بعد أن كان التصور السائد أنها غير ذلك، فقد أثبت أسانيدها ورسم قواعدها وجمعها مع السبعة في كتابيه (تحبير التيسير) و (النشر) وهذا بمثابة الاختيار لها.

7 – لقد بلغ ابن مجاهد في عصره الذروة في علمه وتمحيص الأسانيد واختيار السبعة، ولم يستطع أحد ان يراجعه في اختياره للقراء، وقد بلغ ابن الجزري القمة الشاهقة في عصره، فأصبح مرجع العالم الاسلامي فاختار القراءات الثلاث التي اختلف في تواترها وقام باثبات تواترها أسعفه في ذلك كونه محدّثًا أيضًا.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

* **الإبانة عن معاني القراءات**، مكي بن أبي طالب القيسي (ت:437هـ)، تحقيق: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار النهضة، مصر، بلا ت، بلا ط.

* **أبحاث في علم القراءات القرآنية**، خليل ابراهيم السامرائي، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، 2006م.

* **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي**، أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت:665هـ)، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1434هـ- 2012م.

* **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:911هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط1، بلا ت.

* **الاختيار في القراءات العشر**، عبد الله بن علي المعروف بسبط الخياط (ت:541هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ، بلا ط.

* **الإضاءة في بيان أصول القراءة**، علي محمد الضباع، (ت:1380هـ)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1420هـ- 1999 م.

* **الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت:1396هـ)**، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

* **الاقناع في القراءات السبع**، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الباذش (ت:540هـ)، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث.

* **الإمام ابن الجزري محدّثًا**، مشهور بن مرزوق الحراني، المدينة المنورة، مكتبة المدينة، ط1، 1436هـ.

* **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، بلا ت.

* **الإيضاح لمتن الدرّة**، عبد الفتاح القاضي، القاهرة، الجزيرة للنشر والتوزيع، بلا ت، بلا ط.

* **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي الشوكاني (ت:1250هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ- 1986م.

* **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، (ت1205هـ)، تعليق: عبد المنعم خليل وكريم سيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م.

* **التبيان في آداب حملة القرآن**، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ) تحقيق: محمد الحجاز، ط3، 1414هـ- 1994م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

* **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت:463هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002م.

* **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:748هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2003.

* **تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين**، دار القلم،

بيروت–دمشق، 1966م، بلا ط.

* **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة**، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزري (ت:833هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ– 1983م.

* **السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى بن العباس التميمي (ت:324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ.

* **شرح طيبة النشر**، أبو القاسم النويري، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط1، 1425هـ– 2004م.

* **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت:835هـ)، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1426هـ– 2005م.

* **صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

* **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، القاهرة، ط4، 1990م.

* **صفحات في علوم القراءات**، أبو طاهر عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، ط1، 1415هـ.

* **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت:902هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا ت، بلا ط.

* **غاية النهاية في طبقات القراء**، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت:833هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ– 2006م.

* **فتح الوصيد في شرح القصيد**، علم الدين السخاوي (ت:643هـ)، تحقيق: مولاي محمد الادريسي، مكتبة الرشيد، الرياض، ط2، 1426هـ– 2005م.

* **القراءات القرآنية تاريخ وتعريف**، عبد الهادي الفضلي، بيروت، ط3، 1405هـ– 1985م.

* **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية**، محمد حبش، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419م– 1999م.

* **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، موسى شاهين، مطبعة الفجر الجديد، 1982، بلا ط.

* **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت:711هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، بلات.

* **المبسوط في القراءات العشر**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت:381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م.

* **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، ابراهيم بن سعد الدوسري، دار الحضارة للنشر، الرياض، ط1، 1492هـ– 2008م.

* **مدخل في علوم القراءات**، السيد رزق طويل،

(ت:1419هـ)، المكتبة الفيصلية، ط1، 1405هـ- 1985م.

* **المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت665هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، 1395هـ- 1975م.

* **المزهر في شرح الشاطبية والدرّة**، محمد خالد منصور وأحمد خالد شكري وآخرون، دار عمار، عمان، ط2، 1427هـ- 2006م.

* **مصطلحات علم القراءات القرآنية**، عبد العلي المسؤول، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، بلات.

* **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت847هـ)، تحقيق: بشار عواد المعروف وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ.

* **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، بلا ت، بلا ط.

* **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت:1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بلا ت، بلا ط.

* **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري (ت:833هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ط1، 1416هـ- 1996م.

* **النشر في القراءات العشر**، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت:833هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1427هـ- 2006م.

* **منظومة حرز الأماني ووجه التهاني**، القاسم بن فيرّه الشاطبي (ت590هـ)، تحقيق: محمد تميم الزعبي. بلا ت.

* **الوافي في شرح الشاطبية**، عبد الفتاح القاضي، (ت:1403هـ)، مكتبة السوادي، ط4، 14012هـ- 1992م.

* **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، شمس الدين أحمد بن محمد الاربلي، (ت681هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط6، 1994م.